# المسرح من سلامة حجازى حتى يوسف وهبى (١٩٠٤م - ١٩٢٣م)

## ١. الغناء فى المسرح الشامى:

بقدر ما كان المصريون يعتبرون التمثيل عيبًا.. ولم يحاولوا خوض غماره.. فإن الشعب المصرى كان مغرمًا بالغناء والطرب.. أمثال عبده الحامولى وألمظ وسلامة حجازى وغيرهم.. وقد استغل أصحاب الفرق التمثيلية الموجودة فى ذلك الوقت (الربع الأخير من القرن التاسع عشر) المطربين فى اجتذاب الجمهور.. كما فعل أبو خليل القبانى عندما استدعى عبده الحامولى وأشركه معه بوصلات غنائية فى بعض الحفلات.. نفس الشئ فكر فيه إسكندر فرح وضم سلامة حجازى إلى فرقته.. وكان سلامة حجازى يقدم وصلات غنائية.. ثم اشترك بالتمثيل والغناء.. لهذا يعتبر سلامة

حجازى أول ممثل مصرى مسلم ظهر على خشبة المسرح.

## ٢. سلامة حجازى :

سلامة حجازى من مواليد الإسكندرية ١٨٥٢م، وقد اشتهر منذ الصغر بحلاوة صوته حتى عمل مؤذنًا بمسجد سيدى الأباصيرى، وكان يتلو القرآن الكريم فى بعض بيوت الحى.. وقد تتلمذ سلامة حجازى على يد كثير من المنشدين أمثال الشيخ كامل الحريرى والشيخ سلامة الراسى والشيخ خليل محرم.

وبدأت شهرة سلامة حجازى تنتشر.. ثم تحول من إنشاد الموشحات والقصائد الدينية وحلقات الذكر إلى عالم الغناء والطرب.. وكون تختًا خاصًا له عمل عليه.

وقد بدأ سلامة حجازى الغناء على المسرح بين الوصلات ثم تحول إلى ممثل يغنى ويؤدى.. وكون مع إسكندر فرح فرقة تمثيلية نالت شهرة كبيرة.. حتى انفصل عنه عام ١٩٠٤م وكون فرقته الخاصة التى عُرفت باسم دار التمثيل المصرى.

وهناك بعض المؤرخين يقولون أن سلامة حجازى ظهر على المسرح أول ما ظهر كبطل تمثيلى مع فرقة قرداص

والمداد سنة ١٨٨٥م.. وكان ذلك فى المسرحية الغنائية (مى وهــوزس) ثم انضم إلى إســكندر فرح ليقدم معــه العديد من المســرحيات أمثال: تليماك – على نور الدين – غرام وانتقام – روميــو وجولييت – مجنون ليلــى «وهى غير مجنون ليلى لأحمد شــوقى» أجاممنون – بائعة الخبز – البخلاء – مطامع النساء... وغيرها.

وظلــت فرقته تنتقل من نجــاح إلى نجــاح.. بينما أقل نجم الفرق الأخرى.. وخاصة الفرق الشــامية.. إلى أن أصيب سلامة حجازى بالشــلل عام ١٩١٥م.. فأقفل فرقته.. ولكنه أعادها مع جورج أبيض.. ورغم هذا لم تلق النجاح المنشود، ومات ســلامة حجازى ١٩١٧م تاركًا بصماتــه الخالدة على صفحات تاريخ المسرح المصرى.

## ٣. جورج أبيض والتراجيديات العالميــة:

جورج أبيــض من مواليد بيروت عام ١٨٨٠م.. وهد هوى التمثيل منذ حداثة سنه.. وكان يعمل كعامل تلغراف ببيروت ثم قدم إلى الإسكندرية وعمل ناظرًا لمحطة سكة حديد سيدى جابر.

وقد حاول أكثر من مرة أن يتصل بخديوى مصر آنذاك عباس حلمى.. الذى وافق على سفره إلى فرنسا ليتعلم فنون التمثيل هناك.. حيث تدرب على يد الممثل الكبير سـلفان.. ويعتبر جورج أبيض أول مبعوث يسافر إلى الخارج يتعلم فنون التمثيل.

وعندما عاد من باريس عام ١٩١٠م ألف فرقته المسرحية.. التى بدأت بتقديم عروضها باللغة الفرنسـية.. ثم تحول إلى المسـرحيات العالميـة العربيـة عام ١٩١٢ م وقـد قدم على خشبة المسرح المصرى التراجيديات العالمية أمثال: أوديب – الملك لويس الحادى عشـر – عطيـل – مضحك الملك – وغيرهـا.. وكانت هذه التراجيديات خالية من الأغانى.. وقد نالت استحسـانًا لفترة قصيرة.. لكن سـرعان ما ابتعد الناس عنهـا وانصرف الجمهور عن مسـرح أبيض.. مما جعله يفكر أن يتجه إلى المسـرح الغنائى.. وفعلًا قدم مسـرحية فيروز شـاه عام ١٩١٤م التى ألفها لـه عبد الحليم المصرى.. وكان بطـلاً فى المصارعة واشـترك فيها لأول مرة سـيد درويش.. الذى يعتبر هذا العمل هو أول أعماله على خشـبة المسـرح.

ولضمان نجاح فرقته انضم بها إلى سلامة حجازى بعدما أصيب بالشـــلل ولكن لم يُكتب لها النجاح المنشود.. لضعف صحة الشـــيخ سلامة من ناحية ولقيام الحرب العالمية الأولى من ناحية أخرى.. وانتشار الفودفيلات والفارس والفرانكوأراب من ناحية ثالثة.

## ٤. المصـــريون المثقفـــون يقتحمـــون المســـرح المصـــرى:

كان للنهضـــة المســـرحية التى قام بها الشـــوام فى نهاية القرن التاســـع عشـــر وتجوالهم فى البلـــدان المصرية لعرض مسرحياتهم.. الأثر فى انتشـــار هواية التمثيل المسرحى بين الشباب المصرى ( ).

كما كان ظهور سلامة حجازى على المسروح وراء تشجيع الشـــباب الهاوى من الإفصاح عن هواياتهم وحبهم للتمثيل.. بعـــد أن كان هذا عيبًا.. وفى نظر البعض إنه نوع من الحرام.

لذلك رأينا فرقة عكاشـــة وأحد مؤسســـيها رجل محامى قانونـــى.. كما تكونـــت جمعية أنصار التمثيل والســـينما عام

١٩١٢م وهدفها ترقية فن المسرح من الهزل الذى ساد المسرح من أجل الـرواج التجارى.. وكان بيـن أعضائها محمد عبد الرحيـم وهو مدرس ثانوى.. ومحمد تيمور «ابن أحمد باشـا تيمور» الأديـب الكبير وكبير الياوران بالسـراى الخديوية.. وغيرهمـا أمثـال عبد الرحمن رشـدى ومحمد عبـد القدوس وسـليمان نجيب وإبراهيم رمزى ومحمود مراد.. وكلهم على مسـتوى عالى مـن الثقافة علاوة على إنهـم من عائلات لها ثقلها فى المجتمع.. وربما جاء توقيت تشـكيل هذه الجمعية فى نفس وقت بدء نشاط جورج أبيض المسرحى.. كمؤشر إلى الجمعية فى نفس وقت بدء نشاط جورج أبيض المسرحى كمؤثر إلى اهتمام الطبقات المثقفة بالمسـرح.. ومحاولة الارتقاء به.

## الحـرب العالميـة الأولـى وانهيـار المسـرح المصرى:

لم تستمر محاولات المثقفين لرفع مستوى المسرح المصرى طويلًا.. فسرعان ما قامت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م.. وأعلنـت الحمايـة الإنجليزية على مصر.. وشـعر المصريون المناضلـون بمرارة الموقف.. فبعد أن نجحت المحاولات فى

التخلص من الاســتعمار التركى.. جاءت الحملة البريطانية.. وناضل المصريون من أجل التخلص منها.. وفى الوقت الذى شعر فيه المصريون بقيادة مصطفى كامل ومن ورائه محمد فريد إنهم اقتربوا من تحقيق بغيتهم.. إذا بالحرب العالمية الأولى تشتعل نيرانها.. وتعلن الحماية البريطانية.. ويُخلع الخديوى عبــاس حلمى الثانى الذى كان يؤيد الحركة الوطنية.. ويعين الإنجليز بدلًا منه واحدًا من الموالين له.. ويخلعون عليه لقب ســلطان أسوة بالسلطان التركى، وهو السلطان حسين كامل.. فــى هذا الوقت بدأ بعض المصريين يشــعرون بخيبة الأمل.. والبعض سكت خوفًا من سطوة الإنجليز.. والبعض الآخر انتظر الفرصــة.. وقد حاول الإنجليز اســتغلال الموقف لصالحهم.. فأعلنوا أن هذه الحماية مؤقتة وســوف تُرفع بنهاية الحرب.

وكان لهــذا الأثر الكبير على المســرح المصرى ســالبا.. فقد انتشــرت البارات والصالات.. ونزل الجنود الإنجليز إلى شوارع العاصمة.. بعد أن أقاموا معسكراتهم فى أكثر من مكان بالقاهرة.. وتم وأد النهضة المســرحية فــى مهدها.. وتطبيقًا للمبــدأ الاقتصادى بأن العملة الرديئــة تطرد العملة الجيدة..

كذلك فالفن الرخيص يطرد الفن الجيد.. وهذا ما حدث بالنسبة للمسـرح المصرى.. فقد اختفت الكلاسيكيات والمسرحيات ذات المضامين الفكرية.. لتحل محلها الفودفيلات والفارس.. والمسـرحيات التى تعتمد على النكات البذيئة.. والتلميحات الجنسـية.. وإرضاء للجمهور الجديد من جنود الاحتلال فقد ظهرت الأعمال المسـرحية التى عُرفت «بالفرانكوأراب» وإذا بنا نجد عزيز عيد يقـومّ هذه الفودفيلات أمثال «خللى بالك من أميلى» و «يا سـتى ما تمشيش كده عريانة» و«مودموازيل جوزيث موافى».. ويتبعه نجيب الريحانى بشخصيته الهزيلة كشكش بك.. وعلى الكسار بشخصيته بربرى مصر الوحيد( ).

والمباراة الهزلية التى قامت بين الاثنين فى إلقاء السباب بينهما بأسماء المسرحيات.. وربما افتعلا هذه المباراة لجذب الجماهير إليهما.

## رأى فـى أعمـال عزيـز عيـد الهزيلـة:

عندما ظهرت أعمال عزيز عيـد الهزيلة.. انبرت الأقلام تهاجمها .. ولكن عزيز عيد كان له رأى ذكره محمد تيمور فى كتابـه «حياتنا التمثيلية»( ).. فيقول مبررًا اتجاهه فى تقديم

أعمال الفودفيل الفرنسى إنه أراد أن ينتشل الجمهور ويتطور معهم من الفودفيل الفرنسى إلى الفودفيل المصرى.. حتى إذا استحسنه الجمهور قدم لهم المسرحيات من الفودفيل والكوميدى.. ثم انتقل إلى الخطوة الأخيرة وهى الأعمال الكوميدية الراقية.

والغريب أن رأى عزيز عيد وبرنامجه الذى فشل فيه اقتنع به تلميذه نجيب الريحانى.. الذى استطاع أن ينتقل من الفارسات الجنسية اللاذعة إلى الكوميديات الراقية مثل: «٣٠ يوم فى السجن» و «قسمتى» و «حسن ومرقص وكوهين» و «الجنيه المصرى».. التى قُدمت بعد ذلك باسم «السكرتير الفنى» على مسارح التليفزيون.. وقدمها الريحانى نفسه باسم «الدنيا ماشية كده» وغيرها الكثير «كحكم قراقوش» و «حكاية كل يوم».

وطبعًا هذا الرأى لا يعتبر دفاعًا عن الأعمال الساقطة التى قُدمت خلال هذه الفترة.. ولا تعتبر حُجة أو ذريعة لجذب الجماهير.. إنما الواجب أن نبحث فعلًا عما يجذب الجماهير مع تقديم الأعمال الراقية فى نفس الوقت.. وهذا يتطلب جهدًا شاقًا.. أما التمادى فى الأشياء والتساهل يؤدى إلى

التسيب والانحطاط.. كما يحدث فى المسرح التجارى اليوم.

## ثـورة ١٩ وأثرهـا علـى المسـرح المصـرى:

انتهت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٧م.. وخرج الرئيس الأمريكى ويلسون بتصريحاته.. ومنها منح الحريات للشعوب التى ســاعدت الحلفاء فى الحــرب.. وانتظر المصريون وعود الإنجليــز بإنهاء الاحتلال مع نهايــة الحرب.. وانتظروا من ويلســون.. أن ينفذ تصريحاته.. ويساعد الشعب المصرى فى حصوله على حريته.. ولكن المصريين أصيبوا بالفشل مرة أخرى.

وكمــا يقولون.. راحت السَــكرة، وجــاءت الفكرة.. ولم يستسلم الشــعب المصرى هذه المرة.. بل تحرك الشعب كله فى وقت واحد تســيره مشاعر الخطر التى بدأ يحس بها من المماطلة والتســويف من جانب المحتل الإنجليزى.. وانتهت هــذه التحــركات بتأليف الوفــد المصرى ومــا تابع ذلك من تطورات انتهت بثورة ١٩١٩م( ).

وكان للفن دوره الكبير فى هذه الفترة.. فقد ظهرت الروح الجماعيــة فــى الأعمال الفنية وخاصة الأناشــيد.. وكان أهم

نشـيد فى حيـاة مصر وهو «بلادى.. بـلادى» من إرهاصات هذه الفترة( ).. ولذلك تجد فى هذه الأعمال وخاصة الأناشيد التلقائية النابعة من الشعب الكبير.. من غير تنميق ولا تزويق ولا زخرفة.. ولعل هذه كانت السـمة الكبرى لفنان الشـعب «سـيد درويش».. وهذا هـو الملعب الذى عُـرف به.. بينما سـنجد بعد الثورة وتكوين الطبقة البورجوازية أثره على الفن وخاصة الغناء.. لذلك نجد الفردية تظهر واضحة فى الأعمال الفنية.. حتى أن محمـد عبد الوهاب عُرف «بمطرب الملوك والأمراء».. وهم قمة الطبقة البرجوازية التى ظهرت بعد الثورة وإعلان الملكية فى ١٩٢٣م .

ونجـد المونولوجات يلقيها يوسـف وهبـى ومحمد عبد القدوس وحسـن فايق فى المقاهى والنوادى الرياضية.. وكلها تدعو إلى الكفاح.

كمـا أن المصريين راحـوا يُظهرون أعمـال الفراعنة فى أعمالهم.. وكأنها دعوة لإعادة أمجاد الأجداد فتظهر أسـماء إيزيس ورمسـيس.. ويظهر تمثال نهضة مصر لمحمود مختار موضحًا هذه الفكرة وهـو عبارة عن فلاحة مصرية تمثل مصر

توقظ أبا الهول.. وترعاه بجناحها.. وأبو الهول هو رمز نهضة المصريين القدامى.. ويغنى سيد درويش «قوم يا مصرى مصر أمك بتناديك» و «أنا المصرى كريم العنصرين بنيت المجد فوق الأهرامين».. «جدودى أنشئوا العلم العجيب ومجرى النيل فى الوادى الخصيب.. لهم فى الدنيا آلاف السنين ويفنى الكون وهم موجودين».

ويقدم لنا المسرح المصرى أعظم أوبريت تدعو إلى الكفاح وهى أوبريت «العشرة الطيبة» التى كتبها المؤلف الأرستقراطى المثقف محمود تيمور ووضع ألحانها سيد درويش الفنان الشعبى البسيط ومثلها الفنان المصرى الكاثوليكى ذو الثقافة الفرنسية نجيب الريحانى ويُخرجها الفنان الكبير عزيز عيد ليتم تلاحم جميع طبقات الشعب فى دعوة للكفاح من أجل الحرية.. وهذا الأوبريت يُحسب لنجيب الريحانى ضمن حسناته الكثيرة.. فقد خلع عن جلده شخصية كشكش بك عمدة كفر البلاص وما تدره هذه الشخصية من إيرادات خيالية ليكافح فى النضال ضد الاحتلال.. ولا يعبأ بالخسائر المادية التى تنتابه من جراء تقديم هذا الأوبريت.. فقد حققت حين عرضها

خسارة كبيرة.. ولكن قيمتها التاريخية أخلد من كل الأموال.

وفى أوبريت «العشـرة الطيبة» يسبق محمد تيمور الجميع ويقـدم لنـا المسـرحية الرمزيـة.. فحتى يهرب مـن رقابة الإنجليز على الأعمال المسـرحية.. يرجع بتاريخ المسرحية إلى الاحتـلال التركى والمماليك ومن خلالها يدعو الشـعب المصرى إلى التحرر من الاسـتعمار بجميع صوره وأشـكاله.

وكانت النتيجة الطبيعية لثورة ١٩١٩م ظهور طبقة جديدة مـن المؤلفين المصرييـن الواعدين لعل أهمهـم على الإطلاق الكاتب الكبير «توفيق الحكيم».